

محاضرات السنة الثانية علم الآثار

- تاريخ و آثار المغرب القديم -

الممالك الوطنية

ليس لدينا من المصادر التاريخية الكافية التي تثبت بصفة قطعية وجود كيان مغربي مكتمل الشروط، قبل ظهور قرطاجة، باستثناء أسطورة عليسة التي تشير الى وجود نوع من التنظيم السياسي المغربي في تونس الحالية. حتى ان المؤرخين اعتقدوا بعدم وجود نظام سياسي وطني ببلاد المغرب قبل القرن 3 ق.م، و أنه لا يرجح أن تكون هناك ممالك سابقة لمملكة نوميديا التي ظهرت في هذا القرن الثالث ق.م بشطريها:

1- نوميديا الشرقية: ماسيليا Massylie نسبة لقبائل الماسيل التي استتها

2- نوميديا الغربية: مازيسيليا Masaessylie، نسبة لقبائل المازيس و التي انفصلت عن الأولى سياسيا لاسباب مجهولة

أول الملوك المغاربة الذين ورد ذكرهم في المصادر التاريخية بالنسبة للملكتين المذكورتين، يتصدرهم الملك غايا Gaya، ملك نوميديا الشرقية، التي تبدأ حدودها الشرقية من الحدود الغربية لقرطاجة، و سيقاقص Syphax ملك نوميديا الغربية و التي لا نعرف حدودها بصفة مضبوطة، و لعل الأسباب التي جعلت المصادر تذكر هاتين الملكتين انهما عاصرتا الحرب البونية الثانية و شاركتا فيها مشاركة مصيرية.

بعض الملاحظات التي تثير و جود كيان ساسي مغربي سابق للقرن الثالث:

- 1- الدولة القرطاجية ظلت تدفع الضريبة للمغاربة المجاورين لها منذ أن تأسست الى منتصف القرن 5 ق.م، و هو القرن الذي شهدت فيه ازدهارا اقتصاديا و توسع في نفوذها الساسي و الذي يشمل الأراضي المغاربية المجاورة لها.
- 2- المملكة النوميديا الموحدة من مظاهر القوة الاقتصادية و السياسية، الامر الذي يبعث على الاعتقاد في احتمال وجود نظم سياسية سابقة لتلك المملكة، مهدت السبيل لهذا النمو و الازدهار.

الخلافات السياسية بين النوميديتين و موقف القرطاجيين و الرومان منها:

أ- دور قرطاجة في الخلافات النوميديا:

من بين العوامل التي ساهمت في نشوب الخلافات بين مملكة نوميديا الشرقية و الغربية، ابان الحرب البونية الثانية هو عدم قدرة الديلوماسية القرطاجية على التوفيق في محالفة الملكتين معا. عقب انهزام قرطاجة في الحرب ب 1 انتهجت سياسة استمالة المملكة النوميديا الغربية عن طريق تحسين العلاقات معها. بدأت قرطاجة باستمالة الملك صفاقس، بحكم موقع مملكته من شبه جزيرة ايبيريا التي كانت الجيوش القرطاجية تعسكر فيها استعدادا للحرب البونية الثانية، بهدف حماية ظهر هذه الجيوش، و ضمان امدادها في أقرب الطرق.

أعلن الملك غايا الحرب فجأة على قرطاجة عام 220 ق.م وهي حرب لاتزال أسبابها مجهولة و الذي استطاع ان يحتل العديد من المناطق الغربية لقرطاجة. كونها (قرطاجة) مقبلة على الحرب ضد روما و ليس في صالحها أن تتسع جبهة القتال، رضخت قرطاجة لمطالب الملك غايا و راحت تعمل على التحالف معه، في المقابل هذا السلوك القرطاجي أحدث ردة فعل من طرف الملك صفاقس، الذي أعلن الحرب ضد القرطاجيين، الامر الذي حتم على اصدروبعل أن يوجه قسما من جيشه المرابط في اسبانيا لنوميديا الغربية. هيأت هذه الاحداث فرصة ثمينة للرومان لان تتدخل و تسيطر على الموقف عندما كلفت قائد جيشها في شبه جزيرة ايبيريا بإجراء اتصالات مع صفاقس في شأن التحالف معه ضد الملك غايا و قرطاجة عام 213 ق.م، عملا باتفاقية التحالف ، اجتاز الملك البحر الى اسبانيا ليشترك في الحرب الدائرة هناك الى جانب الرومان. استطاعت قرطاجة استمالة الملك صفاقس لصفهم و ذلك بأساليب يصعب التعرف عليها نظرا لسكوت المصادر عليها، ماعدا زواج الملك صفاقس من الاميرة القرطاجية سوفونيزبة Sophonisbe ابنة اصدروبعل جسكون Hasdrubal Jescon، تلك المصاهرة السياسية أثارت مشاعر الأمير ماسنيسا الذي قيل أنه كان يرغب في التزوج من الاميرة القرطاجية، و أنه وعد بها من قبل

بعد وفاة والد ماسنيسا الملك غايا عام 207 ق.م، ظهر لماسنيسا أن يتعامل مع الرومان لكي يحقق مطامحه في عرش نوميديا، و خاصة ان منافسه قد ارتبط بالجانب القرطاجي. عندها تحالف ماسنيسا مع روما ساهم في نقل ميدان المعركة الى شمال افريقيا

من الأسباب الحقيقية للتغيرات المفاجئة في علاقة الدولة القرطاجية بالممالك الوطنية ، تعود لما اعقب وفاة الملك غايا من حوادث حول استخلافه، ذلك أنه عملا بنظام وريثة العرش النوميدي، المتعارف عليه، آلت المملكة الى أيزلصيس Aezalces كبير العائلة، لكن الموت عاجله مبكرا حيث توفي السنة نفسها 207 ق.م و خلفه كبوسا Capaussa، و هو أكبر من الأمير ماسنيسا، لكن القائد مازيتول Mazetule انقض على الحكم وأولى مكان كبوسا ، لكومازيس Lacumazes شقيق الملك المبعد، و هو أصغر من ماسينيسا، و لا حق له في الحكم تبعا للعرف المتعارف عليه، أدت هذه الحوادث الى انقلاب ماسنيسا على قرطاجة خاصة بعد أن تبين له أن لها يدا مع صفاقس في تحريك تلك الاحداث.

في تلك الظروف وجد ماسنيسا في الرومان من يؤجج نار الحقد في قلبه على القرطاجيين، ويثير فيه روح الانتقام منهم و من حليفهم صفاقس، و هي الفرصة التي كان ينتظرها الرومان لعزل القرطاجيين عن حلفائها. طلبت روما من القائد سيبون الافريقي المتواجد في جزيرة ايبيريا أن يقوم بمجهود سياسي تجاه ماسنيسا قصد استمالاته و عقد تحالف معه ، ليكون بمثابة جسر يمكن الرومان من النزول في أراضي الأعداء و كان ذلك في سنة 206 ق.م. تضمن التحالف خطة عمل عسكري مشترك، حيث تم الاتفاق على انزال الجيوش الرومانية في شواطئ نوميديا الشرقية، و من ثم ينطلق النشاط العسكري الروماني النوميدي ضد القرطاجيين و حليفهم صفاقس.

ب- انقلاب ميزان القوى لصالح الرومان و تردد سيفاقس:

حاول الملك صفاقص عام 203 ق.م التراجع عن التحالف مع قرطاجة، بسبب الأوضاع العسكرية القرطاجية التي أصبحت غير ملائمة خاصة بعد سقوط مدينة قرطاجنة في شبه جزيرة ابيريا، وكذا الهجوم الكبير الذي قام به سيبون الافريقي على الشواطئ القرطاجية عام 204 ق.م، منذرا بالخطر الداهم على كل من قرطاجة و سيفاقص، هذا بالإضافة الى استفحال أمر مسنيسا في نوميديا الشرقية، حيث تمكن من الحصول على اتباع و مؤيدين له، و هو امر جعل عملية القضاء عليه مستحيلة التحقيق في نظر صفاقص.

وضعت معركة سيرتا Cirta عام 203 ق.م حدا لنشاط سيفاقص الذي وقع في قبضة ماسنيسا، تلتها معركة زاما Zama عام 202 ق.م التي أودت بانحزام القائد حنبعل.

3- وضعية العرش النوميدي بعد ماسنيسا:

بعد وفاة الملك ماسنيسا عام 148 ق.م، عندما كانت الحرب البونية الثالثة على أشدها بين الرومان و القرطاجيين، فقد ترك ماسنيسا أولاد كثيرين أكثرهم و أبرزهم: غلوسا Gulussa، مستنبعل Mastanabal و مسيبسا Micipsa. كان ماسنيسا يشعر بالخطر الذي سيحل بالمملكة اذا ما شب الخلاف بين أولاده الثلاث حول العرش لأنه من الصعب ارضائهم بما هو متعارف عليه في ورثة العرش، لذلك ارتأى ان يسلم المملكة للقائد سيبون الايميلي ليقرر مصير الخلافة بعد وفاته، و بذلك يكون ماسنيسا قد أنقذ مملكته من احتمال احد الخطرين: الفتنة الداخلية بين أولاده حول ورثة العرش، أو نقمة الرومان في حالة عدم استشارتهم في موضوع الخلافة. رأى سيبون أنه من الحكمة أن يوزع المسؤوليات و المهام فيما بينهم حتى يجنب الرومان العواقب التي يمكن ان تنجم عن ثورة احدهم على الذي ينفرد بالخلافة. كانت النتيجة توزيع المسؤوليات على الاخوة الثلاث: ابن أسندت الإدارة الى مسيبسا، قيادة الجيش الى غلوسا و اما مستنبعل أوكلت له مهمة القضاء، غير ان مسيبسا ما لبث الا ان جمع كل المسؤوليات بعد وفاة أخويه. بهذا التقسيم نامت مشكلة العرش النوميدي مدة 23 سنة استغرقها حكم مسيبسا (148-118 ق.م)، ثم استيقظت المشكلة من جديد اثر وفاة هذا الأخير.

علاقة روما بورثة العرش النوميدي بعد ماسيبسا:

لا تذكر المصادر التاريخية اذا ما كان مسيبسا قد قسم المملكة قبل وفاته بين أذرבעل Aderbal و هييمبسال Hiempsal و ابن أخيه يوغرطة، أم أنه ترك ذلك للسلطة الرومانية صاحبة الحق في التوريث:

1- يذكر Pallu de lasserre " حوليات الولايات الافريقية faste des provinces africaines "

تدخل حاكم ولاية أفريقيا Porcius caton عام 118 ق.م بالفصل في هذه القضية.

2- "جزيل Gsell" يشك في ذلك معتمدا على أن حاكم افريقيا المذكور سابقا توفي في نفس السنة 118 ق م

3- يذكر سالوست في كتابه Bellum Jughurthinum ان مسيسا و هو على فراش الموت خطب على أولاده الثلاث، اين دعاهم للاتحاد و الاخوة بينهم للحفاظ على وحدة المملكة.

ذكر في كتاب سالوست نص رسالة بعثها سيبون اليميلي للملك مسيسا يثني فيها على القائد يوغرطة عام 133 ق م " ان يوغرطة جدير بك و بجده ماسنيسا"، مما يوحي ان القائد الروماني نبه الملك مسيسا بضرورة اشراك يوغرطة في الحكم. عملا بهذه الرسالة قام الملك بتبني يوغرطة، و الذي يعني حق الوراثة.

سيطرة يوغرطة على الحكم في نوميديا و تدخل روما:

انفجر الوضع المتأزم حول العرش النوميدي فأودى بحياة هيمبسال، و ألحقت الهزيمة بأخيه أذربعل عندما حاول أن ينتقم لأخيه من يوغرطة. أحال اذربعل القضية على مجلس الشيوخ الروماني، هذا الأخير أرسل لجنة برئاسة Opimius لتقسيم المملكة بينهما سنة 116 ق م، نتج عن ذلك تسليم المنطقة الشرقية لاذربعل، و القسم الغربي ليوغرطة. هاجم يوغرطة ابن عمه سنة 113 ق م و حاصر سيرتا الى ان سقطت في يده العام الموالي، بنهاية اذربعل أصبحت نوميديا بشطريها الشرقي و الغربي مملكة موحدة تحت حكم يوغرطة.

تعالى الأصوات بروما مطالبة بتأديب يوغرطة المتطاوول على الإرادة الرومانية، اين تم الاجماع على ارسال حملة عسكرية لإخضاع يوغرطة، لكن هذا الأخير تمكن من اقناع قائد جيشها عن العدول و عقد الصلح. و هو الصلح الذي رفضه مجلس الشيوخ الروماني، و اعلن استئناف القتال ضده. حدثت عدة معارك بينهما و التي كانت تنتهي لصالح يوغرطة، الى ان انهزم على يد القائد Marius و تمكن مساعده سيللا sylla من القبض على يوغرطة في عام 105 ق م.

موقف بوكوس Bocchus ملك موريطانيا من القضية النوميديا:

حسب رواية سالوست، بوكوس خان صهره و حليفه يوغرطة مقابل حصوله على مكاسب إقليمية في نوميديا الغربية وعده بها الرومان.

في البداية كان بوكوس حليفا ليوغرطة، نظرا لنية روما التوسعية في شمال افريقيا، و هو ما جعله يحمل السلاح ضد روما دفاعا عن مملكته. كان ذلك قبل المصاهرة. نتائج المعارك الحاسمة التي دارت بين الرومان و النوميديين منذ ان تسلم ماريوس قيادة الجيش، و التي كانت تنتهي دائما لصالح الرومان، اثارت معنويات بوكوس و اصبح يشك في تحقيق النصر على الرومان.

تسوية مشاكل نوميديا بعد يوغرطة:

رغم التضحيات الجسيمة التي تكبدها الرومان طيلة حرب الست سنوات 111- 105 ق.م، فإن الانتصارات العسكرية الذي حققوها لم تفضي الى توسعات إقليمية. الظاهر ان هذا التحفظ في الإعلان عن ضم نوميديا، راجع الى الأوضاع الداخلية المتدهورة في إيطاليا و انشغال المجلس الشيوخ بنتائج الصراع الاجتماعي، لذلك فضلوا ان تبقى المملكة تحت الحماية و في صورة المملكة الخليفة للشعب الروماني يستفيد منها التجار الرومان و رجال الاعمال.

مارس القائد ماريوس سياسة " فرق تسود" تجاه البلاد عندما شرع في ترتيب الوضعية الجديدة للمملكة نوميديا:

- وهب ثلثها الغربي الى الملك الموريطاني بوكوس
- تنصيب غودا Gouda شقيق يوغرطة على الثلث الشرقي لنوميديا (باعتباره الوريث الشرعي الوحيد، حيث تظاهر ماريوس عدم مخالفته للعرف النوميدي، و لكون غودا ضعيف الشخصية و لا خوف على مصالح الرومان منه).

الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم

في منتصف القرن الأول ق.م نشب صراع سياسي بين جوليوس قيصر الجمهوري (حزب الشعب) و بومبيوس. كان يوبا الأول محالفا للحزب الأرستوقراطي الذي يتزعمه بومبيوس، في حين كان موقف الملك الموريطاني بوخوص 2 من تلك الاحداث محيبا للآمال الوطنية في التحرر، لأنه خاف من استلاء يوبا الأول على الممتلكات التي وعده بها حكام الولاية الافريقية دون أن يكون للملكة موريطانية نصيب، و التي ساهم بوخوص الدفاع عنها عندما تخلى عنها يوغرطة. استعان قيصر بعنصر روماني آخر يتمثل في جماعة المرتزقة الايطاليين الموجودين في موريطانية تحت قيادة "سيتيوس" الذي أعطيت له مكافآت مقابل مساعدته للقضاء على "بومبيوس".

سياسة قيصر في افريقيا:

استطاع قيصر أن يوجه بوخوص الثاني و سيتيوس الى مملكة يوبا ليحدث خللا و ارتباك في أواسط النوميديين و يرغم الملك يوبا التخلي عن بومبيوس و يدافع عن مملكته. لذلك تمكن قيصر أن يلحق هزيمة ب: بومبيوس في المعركة الشهيرة Thapsus و هو ما ساهم في تغير الخريطة السياسية لبلاد المغرب، و من النتائج المترتبة عن ذلك:

1. إلغاء مملكة نوميديا نهائيا و إعلانها قيصر ولاية رومانية جديدة Africa Nova لتمييزها عن Africa Vetus (سنة 46 ق.م)

2. منح الجزء الشرقي من مملكة نوميديا الى مرتزقة Sittius ، الذين أقاموا امارة باسمهم و هي اشبه بكنفدرالية تجمع عدة مدن: القل Chullu سكيكدة Rusikada ميلة Milev سيرتا Cirta .

3. منح قيصر لبوخوص الشطر الغربي من نوميديا ليوسع مملكته الى الوادي الكبير شرقا (cirta)

محاولة Arabion و نهاية الكيان الوطني

استغل الأمير Arabion (ابن ماسنيسا 2) النزاع القائم بين sexttius و Cornificius و راح يتحرك بسرعة ليخوض الحرب إلى جانب حاكم Africa Nova و ركز نشاطه العسكري ضد مرتزقة سيتيوس و تمكن من القضاء عليهم و استرجاع سيرتا ، و ان يزيح جيش بوخوص الثاني من مملكة نوميديا الغربية.

خصائص الإدارة الرومانية : في بلاد المغرب و دورها في سياسة الرومنة.

تميز الاستيطان الروماني بطابع التدرج البطيء في تحويل الانظمة التي وجدوها الى أنظمة رومانية، و بالمرونة من أجل تثبيت سيطرتها في البلاد و تهيئة السكان المحليين بقبول حضارتها و قبول سياسة الرومنة La romanisation:

1. **اللامركزية الإدارية:** أي عدم تجميع السلطة الإدارية الخاضعة لها بمنطقة المغرب في مدينة معينة و تحت قيادة مسؤول روماني واحد، فاتبعت سياسة تقسيم المنطقة الخاضعة الى وحدات إدارية (ولايات مستقلة عن بعضها البعض) لكن تربط هذه الولاية بالإدارة المركزية روما مباشرة، بهذا التقسيم قطع مجلس شيوخ الروماني الأمل على الحكام الطموحين في التمرد على السلطة المركزية.

2. **انشاء مناطق مدنية و أخرى عسكرية:** صنفت روما بلاد المغرب الى نوعين من الأقاليم الإدارية و هذا حسب درجة توغلها و مدى خضوع السكان لنفوذها. كان الغرض من ذلك تجنب الاصطدام بالمقاومة الوطنية حتى لا تضيق زمام الأمور من يد الإدارة المدنية التي قسمت لتنظيم أساليب الاستغلال الاقتصادي و تغيير الوجهة الحضارية للبلاد الخاضعة لها.

3. **إفريقيا البروقنصلية Proconsulaire:** هي المنطقة التي ورثها الرومان عن القرطاجيين سنة 146 ق.م.

- الولاية الرومانية في إقليم قرطاج قد وضعت في منطقة كانت تتمتع من قبل بالنظام المدني فاستفاد الرومان من الإرث الحضاري و الإداري، مما ساعد حاكم الولاية في السيطرة على الوضع.
- الجو السياسي الذي ترتب عن سقوط قرطاج جنب الرومان عناء إقامة مؤسسة عسكرية.
- إبقاء مملكة نوميديا في ايدي النوميديين من الأمور التي تحتمها سياسة الاحتماء بالحلفاء، الى جانب اعتراف روما بالأراضي التي اقتطعتها من الدولة القرطاجية خاصة منها الأراضي الجبلية و الصحراوية و التي كانت موطناً لقبائل صعبة الانقياد.

4. **موريطانيا و ازدواجية الإدارة فيها:** أعلن قيصر منطقة نوميديا من الممتلكات الرومانية رسمياً سنة 46 ق.م، إضافة الى تحالف الملك بوخوص 2، و بهذا تم تأمين الولاية الجديدة من مقاومة المواطنين التابعين ليوبا الأول. بعد وفاة بوخوص 2 سنة 33 ق.م، تم ضم المملكة طيلة 8 سنوات تحت الإدارة العسكرية بأمر من Octavius ، ثم نصب يوبا الثاني على موريطانيا. في 42م أعلن الامبراطور Claudius عن الفصل بين موريطانيا القيصرية عاصمتها شرشال و موريطانيا الطنجية عاصمتها طنجة.

وضعية المغاربة الاجتماعية

تميزت القوانين الرومانية المتعلقة بالوضعية الاجتماعية انها تقوم على مبدأ الطبقة الاجتماعية و على العنصرية، فالمواطن الروماني كان له الاعتبار الأول عن بقية الاجناس الأخرى. افسحت الإمبراطورية مبدأ الادماج ليصبح الأجنبي في وضعية المترومن Romanisé.

• درجات المواطنة:

(1) مواطنة رومانية:

تحول للمستفيد بها جميع الحقوق السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي يتمتع بها مواطنو روما نفسها. في البداية لا تمنح الا للمستوطنين الرومان و المعمرين و اداريين و تجار و كذلك الذين يعودون في الأصل الى مدينة روما.

(2) المواطنة اللاتينية:

حقوق أقل قيمة من حقوق المواطنة الرومانية، و تمنح في الأصل الى بعض الشعوب الحليفة في إيطاليا. عممت فيما بعد في باقي الولايات خاصة عندما استوطنت هذي الولايات الجاليات اللاتينية. باقي الشعوب الخاضعة للرومان فهي تعد في وضعية الأجنب، فهم خاضعون لإدارة الحكام الرومان في التسيير و التعامل.

• سياسة الادماج:

الذين لا يملكون أراضي من سكان الولايات لا يحق لهم الادماج، مع العلم أنا سكان المغاربة بعد القضاء على قرطاجة باستثناء سكان الحضر كانت وضعيتهم على صنفين:

1. أعداء مهزومين: بسبب وقوفهم الى جانب قرطاجة في ح. ب. 2 جعلهم يعاملون مثلما عمل القرطاجين.

2. محايدون: اعتبروا في وضعية التابعين لكن أراضيهم ملك للشعب الروماني المنتصر.

في كلتا الحالتين لم يضفر فيها المغاربي بالحقوق المدنية، و جرده من ملكية الأراضي و كان يطلق على المغاربة الخاضعين للإدارة الرومانية Stipendiarae بمعنى السكان الملزمين بضريبة المهزومين. المغاربة كانوا في وضعية الأجنب، و تشرف الإدارة الرومانية على شؤونهم بطريقة غير مباشرة. أبقت روما على الأنظمة البلدية البونية سائرة في أواسط المجتمع المغربي، و أوكلت القيادة الى القادة المحليين من زعماء القبائل و الذين كان لهم طموح في النفوذ السياسي و القيادة.

تظهر ملامح سياسة الرومنة الرومانية بصورة أوضح في فتحهم باب الارتقاء الاجتماعي أمام الاعيان المغاربة لينتقلوا الى درجة العضوية اللاتينية أو الرومانية.

منح المواطنة جماعيا:

كانت في بعض الأحيان الحقوق الرومانية تمنح بصفة عامة جماعية و ذلك بالإعلان مثلا مدينة ما مدينة تابعة لروما، و هذا ما قام به الامبراطور Octavius سنة 38 ق.م، إذ منح مدينة طنجة الصفة الرومانية بإعلانها رومانية.

المواطنة عن طريق التجنيد:

الباب الذي كان دخوله مباحا لجميع المغاربة حتى يتحصلوا على المواطنة الرومانية هو التجنيد. في المقابل الانتفاع بهذه الطريقة متعذر لأغلبية المغاربة لعدة أسباب نذكر:

1. قدرة استيعاب الجيش الروماني للعناصر المحلية محدودة.
2. طول مدة الخدمة العسكرية المشروطة (25 سنة)، لست بمقدور الجميع تحملها.
3. بالرغم من انضمام المغاربة لفرق مساعدة الجيش الروماني لكن هذه لا تمكنهم من الانتفاع بالحقوق الرومانية.

وضعية المغاربة بعد الاحتلال الروماني

يعيشون وضعية الأعداء الخاضعين ، تحيطهم المنشآت العسكرية الرومانية المحتلة في الليمس limes و الحصون و القلاع و مستعمرات قدماء الجنود الذين يعرفون باسم Veteranus مثل تيمقاد، جميلة و لمبار. بعض المغاربة كانوا يعملون في الأراضي الزراعية التابعة للمعمرين في حين منهم من انزلوا الى المناطق الجبلية للاحتفاظ باستقلاليتهم ورفضهم للاندماج و ضلوا رمز للمقاومة. المغاربة سكان مسالين سواء داخل حدود الولاية أو على تخومها، يربطهم مع الرومان معاهدات سلم أو تحالف. تحصلت الفئة الاجتماعية القابلة للترومن- المتمثلة في الأرستوقراطيين الذين يسكنون المدن - على ملكية الأراضي و العقارات الأخرى، ولهم إمكانيات مادية تسمح لهم بمشاركة الرومان في الاحتياجات الاقتصادية و الاندماج معهم في الحياة الاجتماعية. كانت روما تعزز هذه الفئة لتساعد على تثبيت نفوذها في المنطقة. تزايد عدد هذه الفئة، و منحت التشريعات الجديدة فرصا أكثر أمام سكان الولايات ليندمجوا في المجتمع الروماني.

سياسة الاستيطان الروماني في بلاد المغرب:

1. من سقوط قرطاجة الى غاية حملة كايوس كراكوس (146-129 ق.م):

تعد سنة 129 ق.م العام الذي تمكن فيه النائب الشعبي كايوس كراكوس من إقناع مجلس الشيوخ Senatus بإنشاء أول مستعمرة رومانية في إقليم قرطاجة من أجل إيواء 6 آلاف من الفلاحين الرومان في نطاق المشاريع الإصلاحية. هناك موضوعا يشير الى مصير المستعمرات القرطاجية التي ورثها الرومان على الاقطاعين القرطاجين.... كيف استغلت هذه المستعمرات؟ هل سلمت الى المغاربة حتي يشتغلوا فيها لصالح الرومان؟ أم بيعت بالمزاد الى الملاك الرومان؟ صمت المصادر التاريخية حول هذا الموضوع صعب التعرف على تلك الضيعات و مصيرها و حتى عن التغيرات التي أحدثتها الرومان في أساليب الإنتاج.

سياسة الاستيطان تجاه الولاية الإفريقية يجعل الاعتقاد بأن الرومان لم يكن في نيتهم ان يتوسعوا الى ما وراء الحدود التي ورثوها عن قرطاجة، و من الذين اعتقدوا بذلك Courtois الذي بني رأيه على مبادرة القائد Sepion Emilianus المتمثلة في حفر خندق على الحدود الغربية للولاية حتى يضع حدود ثابتة و دائمة لما ورثه الرومان.

المرحلة الثانية للاستيطان و علاقتها بالأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في روما:

ترجع هذه الأوضاع الى الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية التي بلغتها الحياة في روما أيام حركة الإصلاح الغراكية. مشاريع منح الجنسية الرومانية لللاتينيين و الحقوق اللاتينية للإيطاليين من جهة و فقر الريف الايطالي من الفلاحين و عمال الأرض، ثم تزايد أعداد العاطلين عن العمل في مدينة روما كذلك. ابتداء من منتصف القرن الثاني قبل الميلاد حدث تغير تمثل في اتساع المساحات الزراعية التي استحوذ عليها الملاك الكبار، و عليه توجه الفلاحون الصغار نحو المدن و خاصة مدينة روما للبحث عن مصادر العيش. استغناء كبار الفلاحين على اليد العاملة الاجيرة و استغلال اليد العاملة التي وفرتها الفتوحات العسكرية بتكاليف أقل. كل هذا دفع النواب الى اقتراح مشاريع إصلاحية منها الإصلاح الزراعي و انشاء مستعمرات خارج روما و ذلك لتجنب الاخطار و تفادي انفجار ثورة الشعب.

الإصلاح الزراعي الأول:

قاده الزعيم الأول **Tiberius Garacus** الذي دفعته غيرته الوطنية بعد ما رأى المزارع الرومانية تعج بالعبيد من مختلف الجنسيات الى العمل بإصلاح يضمن التقدم الاقتصادي و الاج للشعب الروماني، و قد سبق أخاه Caius Gracas في مجال الإصلاح الزراعي، غير أن إنجازاته لم تتجاوز الريف الإيطالي. تمكن Tiberius من إقناع مجلس الشيوخ الرومان لوضع قانون يحدد الملكية الزراعية Lex Agraria و يتضمن نصه عدم تجاوز

ملكية الأرض 500 بوحيرة أي حوالي 250 هكتار، و انشأ لجنة للإصلاح الزراعي الثلاثي الذي يسمى Assignatis Agris Indicantis Triumveri عام 183 ق.م و مهمتها الاشراف على القانون السابق.

- نتائج هذا الإصلاح:

- استفادة الفلاحين الصغار من الأراضي في إيطاليا.
- هذه الإصلاحات اصطدمت بتيار معاكس مثله المنتفعون بأراضي الدولة التي مسها الإصلاح، و كان معظمهم يستند الى نفوذ قوي في مجلس الشيوخ، و هذا ما أدى الى تحطيم هذا المشروع و القضاء على زعيمه 132 ق.م.

الإصلاح الزراعي الثاني:

ترجمه Caius Graccus الذي احي أسلوب أخيه في أسلوب جديد لتفادي نتائج أخيه. تمثلت فكرته في الاستفادة من أراضي الولايات الرومانية و ذلك بنقل الفلاحين الايطاليين الرومان الى تلك الأراضي و تنظيمهم في مستعمرات فلاحية. بذلك يكون قد أعاد الاعتبار الى اللجنة الثلاثية الخاصة بالإصلاح الزراعي، كما استقطب نواب عامة الشعب نحو مشاريعه الإصلاحية، منهم النائب روبريوس الذي وضع و أصدر قانون باسمه عرف Lex Rubrèa يخص انشاء مستعمرات خارج الوطن الروماني و من بينها مستعمرة قرطاجنة، الى جانب انشاء مستعمرتين في البر الإيطالي الأولى تدعى NEPTUNIA و الثانية MENIRVA، كذلك توزيع الأراضي العمومية التابعة للدولة و هذا بمقدار 50 هكتار للمستفيد الواحد، و هي ضعف المساحة التي يمكن أن يستفيد منها المنتفع في إيطاليا، و هذا من أجل تشجيع الهجرة خارج إيطاليا.

بعد مرور 70 يوم أقدم أعضاء مجلس الشيوخ على تحويل الجمهور ضد كايوس غراكوس و سلبه شعبيته، حتى أنهم رفضوا انتخابه لعهدة ثانية كنائب لهم، ففقد بذلك منصبه سنة 122 ق.م و فشلت مشاريعه الإصلاحية، و لما حاول الثورة دفع حياته ثمنا لذلك.

نتائج الإصلاح:

أصدر مجلس الشيوخ قانون باسم احد النواب العامة المنحازين الى المجلس المدعو MINUSIUS فعرف القانون باسمه LEX MINUSIA الذي يلغي القانون السابق له. يتضمن القانون الأخير ترخيصا للفلاحين الصغار المنتفعين بالأراضي العامة بيع حصصهم سواء بالبيع الاختياري أو عن طريق الضغط و التهديد أو حتى بالإغراء المالي، و بهذا يستولي الفلاحين الكبار مرة أخرى على الأراضي العامة.

تجديد حركة الاستيطان ببلاد المغرب

واصل أوكتافوس أوغسطس (27 ق.م- 14 م) عام 29 ق.م سياسة التعمير، فأرسل حوالي 3 الاف من الجنود دخلوا بلاد المغرب، و منح لهم أراضي جديدة في عدة مناطق خاصة في إقليم قرطاجنة و الساحل النوميدي و الموريطاني. أدى ذلك لظهور العديد من المستعمرات على طول الشريط الساحلي و عددها حوالي 25 مستعمرة (تنس، صلداي...)

احتفظ أوكتافوس بالاسم البوني لقرطاجنة و أرجع للمدينة قوتها في الاشعاع الحضاري، و منح مدينة طنجة الحقوق الرومانية. كما منح ايضا لمدينتي لكسوس و شالا الحقوق اللاتينية و حقوق المستعمرة أيام الامبراطور Claudius (41-54 م). مدينة Volubilis (العاصمة الثانية لموريطانيا) أعلنت كمستعمرة فلاحية رومانية بعد إلغاء مملكة موريطانيا عام 40م على يد الامبراطور Caligula (37-41 م) نظرا لخصوبة تربتها و موقعها الحصين.

• العلاقة الرومانية مع المجتمع الريفي المغربي

- أبقت على العلاقة القديمة القائمة بين المجتمعين المدني و الريفي المغربيين.
- إبقاء أراضي تلك القبائل بين أيدي أصحابها و اعلان ممتلكات بطليموس (23-40 م) و حاشيته ملك للشعب الروماني بعد ضم مملكة.

• رد الفعل المغربي:

عاشت بلاد المغرب في تلك الفترة عدة اضطرابات خاصة بعد تنصيب يوبا الثاني (25 ق.م- 23 م) حليف الإمبراطورية الرومانية على عرش موريطانيا. قيام قبائل الجيتول (الهضاب العليا لموريطانيا و نوميديا) بثورات ضد تلك التغيرات و احتجاجا على التواجد الروماني.

• اختراق المناطق الجبلية:

اعتبرت روما شمال افريقيا كخليفة اقتصادية هامة تساهم في تغطية استهلاك روما من الحبوب. هذا ما دفع بروما للقيام بتحركات عسكرية ضد الأهالي و ارغامهم على الخضوع و دفع الضرائب و الاستيلاء على أراضيهم. عملت على توسيع النطاق الجغرافي للهيمنة، إذ بلغت حركة التوسع رفارف الصحراء، مقيمة بذلك حدود محكمة و ناسجه شبكة الاستغلال الزراعي.

اعتبرت روما المناطق الجبلية المتاخمة بالنسبة للرومان مصدر قلق دائم، لما ينطلق منها من تحركات ثورية (المناطق الجبلية م ن الاوراس حتى جبال ونوغة كانت تمثل حاجز صعب الاختراق بالنسبة للرومان)، لذلك اتبع الرومان

خطة لإخضاع هذه الأقاليم أو عزلها عن بعضها البعض حتى يتمكن المد الروماني من تجاوزها نحو الجنوب. بعد أن قمعت ثورة Takfarinas عام 23 ق.م بدأت بإنشاء شبكة من التحصينات في المناطق الجبلية الخطيرة و طردت بذلك السكان الى ما وراء السفوح الجبلية نحو مرتفعات الأوراس و الحضنة. بذلك تكون قد قطعت الصلة بين القبائل الجبلية من جهة و فصلتها عن القبائل السهبية الصحراوية من جهة أخرى، و بالتالي تمكنت من الحصول على أراضي زراعية جديدة.

حملات الاستيطان

في عهد الامبراطور Trajanus (98-117 م) انطلقت الفرق العسكرية في حملة هامة على العديد من المناطق. و تم انشاء قواعد عسكرية ما بين 102-105 م نذكر منها قاعدة ماجوريس Admajoris الواقعة جنوب منطقة نعزين (سنة 104 م) و أنجز طريق رابط بين هذه القاعدة وبين مدينة تهودة الواقعة غرب بسكرة. و بذلك انتقل خط الحدود الروماني الى المناطق الجنوبية بعدما كان شمال الأوراس. أنشئ هذا الحزام العسكري Limes بعمق الصحراء لمواجهة البدو الرحل، و مراقبة تحركاتهم و تشتيت تجمعاتهم. زود الرومان ذلك الحزام بإنشاء عدة حصون وقلاع عند المعابر الرئيسية بين الصحراء و التل.

وضعية الأراضي و أساليب النشاط الزراعي في العهد القرطاجي:

نظام الأرض تقريبا مجهولا خلال العهد القرطاجي، كيفية امتلاك الأراضي أو حيازتها؟ ماهي الأساليب المتبعة في الزراعة؟ يبدو أنه ابتداء من القرن 5 ق.م أخذت الأراضي بنظام الاقطاع، فشهد هذا القرن حركة استيطان عممت الشواطئ القرطاجية و النوميديية و الموريطانيا. مجيء بعض المعمرين الفنيقيين و استوطنوا بنوميديا الشمالية و الشرقية و اسسوا مدنا ذات شهرة كبيرة (سوسة، عنابة..)، الى جانب انشغال القرطاجيين بالتجارة و البحر دفعهم الى وضع المغاربة الخاضعين لهم ليقوموا بالأعمال الزراعية.

وضعية الأرض بعد سقوط قرطاج (في العهد الروماني)

أبقت على الوضعية القديمة للأرض من حيث طرق الاستغلال، ظل المغاربة يتابعون خدمة الأرض لصالح الرومان الى غاية أيام النائب Caius. بعدها قامت روما بترتيب وضعية الأرض و السكان، فأنشأت لجنة عشرية Dicemni من مهامها:

- الاستفادة من الخبرة القرطاجية في ميدان الزراعة.
- اطلاق يد التجار الرومان ليستحوذوا على المنتوجات الفلاحية و نقلها الى الشعب الروماني فيما وراء البحر.

- العناية الفنية بالأرض من حيث احصائها و استصلاحها و تعزيز شبكة الري و تنويع الإنتاج الزراعي .

• عملية المسح أو الكنترة :

بمجرد ضم الولايات الافريقية، بدأت عملية مسح الأراضي و تقسيمها وتسجيلها حسب وحدات مئوية أو كنتورية، كل وحدة مئوية مساحتها 50 هكتار، تقسم الى 100 قطعة عائلية أو ضيعة، و كل ضيعة تسلم الى عائلة ويتوارثها أفرادها، أطلق عليها اسم ملك الإراث Heredia و تكون مساحتها حينئذ 5 آلاف م² .

لتقسيم مساحة أرضية الى وحدات متساوية يقومون بمد خط على الطول من الشرق الى الغرب Decumanus maximus، خط عمودي من الشمال الى الجنوب Cardo maximus، يمددون عددا من الخطوط الموازية لهذين الخطين الرئيسيين طولاً و عرضاً. بعدها يقع رسم المخطط أو التصميم و تسجل به اسماء أصحاب الأراضي و الضيعات.

شملت هذه العملية جميع الأراضي الزراعية في الولاية سواء التي انتقلت الى ملكية الدولة الرومانية أو التي بقيت في حيازة الفلاحين المغاربة مؤقتاً (الأراضي ذات الشكل مربع رومانية، ذات الشكل المستطيل أراضي خاضعة للضريبة و هي بحوزة المغاربة).

البيبلوغرافية:

- مُجَّد الصغير غانم، معالم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2003.
- مُجَّد الصغير غانم، التوسع الفنيقي في غرب المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979م
- مُجَّد البشير شنيقي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم.
- شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، الجزء الأول، ترجمة مُجَّد مزالي و البشير بن سلامة، تونس، 1969.
- مُجَّد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م - 40 م)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية، 1985.
- مُجَّد البشير شنيقي، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية للمغرب أثناء الاحتلال الروماني.
- مُجَّد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم.
- عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني (عصر الثورة)، القاهرة، 1967.

- Albertini (AU.), L'Afrique romaine, Alger, 1938.
- Camps (G.), Massinissa ou début de l'histoire, Alger, 1961.
- Gsell (St.), Histoire ancienne de l'Afrique du nord, Tome 8, Paris, 1928.
- Mesnage (P-J), La romanisation de l'Afrique du nord, Paris, 1913.
- Tite-Live, Histoire romaine, Paris, 1963.
- Salluste, Bellum Jugurthinum, Paris, 1963
- Piganiol (A.), La conquête romaine, 5^{ème} Ed, P.U.F., Paris, 1967.
- Berthier A., La Numidie (Rome et le Maghreb), édition Picard, Paris, 1955.
- Gsell S., *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*.